ـ لست أدري ارتباط بعضها بالأنظمة الرجعية، الثراء، وقوفها في وجه الوحدة الوطنية. . . » «الرواية، ص: 27).

أما الإديولوجية العربية التي تواجه الإديولوجية الغربية فهي في الرواية تقوم على صراع بين إديولوجيتين تُقَدِّمُهما الرواية في صورة «ثورية»: إديولوجية «نادية» العربية وإديولوجية «فرانك» الفرنسي. ومع ذلك يوجد بينهما صراع ينتهي بانتصار الإديولوجية الأولى.

ويتجلى هذا الصراع الإديولوجي واضحاً من خلال الحوار التالي بين نادية وفرانك.

«ـ عن أي تاريخ تتحدث يا فرانك؟ التاريخ في أوربا مسألة أخرى، ثورتكم البرجوازية آخر ثورة في تاريخكم، وعلينا أن نصنع ثورتنا في العالم الثالث، علينا أن نلوي عنق التاريخ!

تنفجر بغضب حقيقي:

ـ التاريخ لا يُلوى من عنقه. . . التاريخ يَأْخُذُ مجراه، لقد حاولتم في الشرق، فماذا كانت النتيجة؟ هل تعتقدين أن وضع مسدس في رأس طيار وإجباره على تغيير اتجاهه. . . إرهاب مئات الأرواح القتل ـ كل هذا يغير الظروف، ويبدل التاريخ؟ لقد تحول ثواركم الى قراصنة جو؟» (الرواية، ص: 99).

أما انتصار الإديولوجية العربية في هذه الرواية فلا تبدأ علاماته تظهر إلاّ مع الصفحات الأخيرة حين تتكثف انتقادات نادية لفرانك وبعدها تعود نادية إلى الشرق لممارسة «النضال» مع الثوار:

ـ «هززت رأسي يومها، ولم يخطر ببالي أن أسألك: كيف يمكن أن يكون المرء اشتراكياً ورأسمالياً بامتياز». (ص: 102).

ذلك أن نادية كانت تستغرب كيف لثوري مارس النضال، أن يقبل بيع مذكراته عن الثورة في السوق الرأسمالي. وتقول نادية أيضاً منتقدة سلوك فرانك المتناقض:

«ـ لا أفهمك أبداً، كيف يمكن لثوري مثلك أن يحتمل صحبة تاجر حرب؟ إنك مُصَالِحٌ من الدرجة الأولى». (ص: 103).

إن انتصار إديولوجية نادية يتجلى في العودة إلى «عينتاب» «عائدة إلى رفاقها. . . ستبدأ معهم من جديد، إن البعد عنهم لم يمنحها الراحة، وهي ما زالت تقاتل لكي تعيش» (ص: 182) كما يتجلى أيضاً في اقتناع فرانك بأفكارها وعَزْمِه على اللّحاق بها إلى الشرق:

«كانت الطائرة تتجه إلى «عينتاب» «ووجهه مصلوب على الغيوم التي يعبرها، كيف